الفصل الثالث: مكونات العملية الإبداعية الرقمية:

مقدمة

يعد العصر الذي نعيشه عصرا رقميا بامتياز، نظرا للثورة الهائلة التي أحدثتها تكنولوجيا المعلومات والتواصل في شتى المجالات، مما انعكس على مختلف مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، هذه الأخيرة أصبح من الضروري عليها مواكبة هذا التطور لتلبي حاجات الإنسان الفكرية والتعبيرية، فبدأت تظهر في الساحة الأدبية عدة بوادر من لدن مجموعة من الكتاب والباحثين والنقاد، تهم بعض الأجناس الأدبية كالشعر والمسرح والرواية تنظيرا وممارسة ونقدا، من أجل تجديد الوعي بالنقد والإبداع، الذي بدأ يدخل في علاقة تفاعلية مع الوسيط التكنولوجي، وقد أثرت هذه العلاقة على مختلف مكونات العملية الإبداعية، وعلى منطق اشتغالها، وجعلتها تنتقل من حقبة ما قبل الإنترنت إلى حقبة ما بعد الإنترنت، بعدما أثمرت نوعا جديدا من النصوص يقوم على الترابط وينفتح على وسائط متفاعلة، فأصبحنا نتحدث عن النص الورقي في مقابل النص الرقمي، والمبدع الورقي في مقابل المبدع الرقمي، وعن القارئ الورقي في مقابل القارئ الرقمي، وهذا ما يجعلنا نقول إن تغير الأداة الحاملة للنص أدى إلى حدوث تغيير على مستوى مكونات العملية الإبداعية.

1- مكونات العملية الإبداعية:

1.1.المبدع الرقمي:

يمكن اعتبار المبدع أهم مكون من مكونات العملية الإبداعية، ما دام هو خالق النص ومالكه الأول قبل أن ينتقل إلى القارئ، علاوة على كون التحول الذي طال طبيعة المبدع بانتقاله من مبدع ورقي إلى مبدع رقمي، أدى إلى تحول في طبيعة باقي مكونات العملية الإبداعية (القارئ والنص)، ذلك أن استعمال المبدع للورق كوسيط يؤدي إلى إنتاج نص ورقي يستدعي قارئا ورقيا، في حين إذا وظف المبدع جهاز الحاسوب كوسيط لإنتاج نصه، فإنه ينتج نصا رقميا يتطلب قارئا رقميا. في هذا السياق تقول فاطمة البريكي: "ويبدو من هذا أن كون المبدع ورقيا أثر على العملية الإبداعية، وطبعها بملامح خاصة، لم نكن لنشعر بها أو نميزها دون أن يظهر شكل آخر يمكن أن تتجلى من خلاله عناصر العملية الإبداعية الثلاثة، وهو الشكل الإلكتروني الذي اصطبغت به منذ حوالي ربع قرن من الزمان أو يزيد".

يمكن مقارنة المبدع الورقي بالمبدع الرقمي من خلال ما يلي:

- لا يصل المبدع الورقي إلى جمهوره، إلا عبر مجموعة من المؤسسات تمثل دور السلطة والوسيط بينه وبين قرائه نحو: دور النشر، المؤسسات الأكاديمية والثقافية والنقاد.. في حين نجد المبدع الرقمي يصل إلى جمهوره دون أية سلطة من تلك السلطات التي يمر عبرها المبدع الورقي، نظرا للإمكانات الهائلة التي تتيحها شبكة الإنترنت، بحيث يمكن لأي شخص أن يصبح مبدعا رقميا ينشر أعماله، فيتفاعل معها القراء في أي مكان، مباشرة بعد اتصالها بشبكة الإنترنت.
- إن المساحة التي يتحرك فيها المبدع الورقي محصورة جدا، إذ تتسع فقط للأدباء والشعراء والروائيين المشهورين، الذين بإمكانهم إيصال إبداعاتهم للقراء بسهولة، في حين نلفي الأدباء والشعراء اللامشهورين، والذين يشعرون بقدرتهم على الإبداع الفني الأدبي، يعانون من تجاهل دور النشر وغيرها لإبداعاتهم التي لا تصل إلى القراء، لأن فلسفتها تقول، كلما كان اسم المبدع مشهورا كلما كانت المبيعات وإقبال القراء على إبداعاته أكبر والعكس صحيح.
- أما المبدع الرقمي، فإنه يتحرك في مساحة شاسعة يتيحها الفضاء الشبكي، ما دام يتعامل مع قراء افتراضيين، وعليه لا يتم الاقتصار على فئة من المبدعين دون غيرها، بل الكل سواسية أمام شبكة الإنترنت، بالإضافة إلى ذلك، نجد ما ينشره المبدع الرقمي يصل إلى مختلف أنحاء المعمور، متيحا الفرصة لأكبر عدد من القراء للتفاعل مع نصوصه.
- ومن جانب آخر، يتميز المبدع الرقمي بكونه يتعدد بتعدد المؤلفين الذين يساعدونه في الإخراج، وأيضا بتعدد القراء الذين يتفاعلون مع نصه، من خلال مشاركاتهم عبر المساحات التي يتركها لهم لبناء النص وإعادة إنتاجه من جديد، ويتضح هذا الأمر جليا مع أغلب نصوص الإبداع التفاعلي الرقمي، في المقابل نجد المبدع الورقي غير متعدد، لأنه هو صاحب النص وهو الذي يكتبه دون مساعدة أو مشاركة أحد.

- إن التعددية التي يتسم بها المبدع الرقمي على مستوى الإنتاج والتلقي، جعلته يؤثر بشكل مباشر على طبيعة المتلقي، الذي أصبح بدوره مبدعا عبر مشاركته في بناء النص وإعادة إنتاجه.

2.1القارئ الرقمي:

أدى التغيير الذي حصل في طبيعة المبدع بانتقاله من مبدع ورقي إلى مبدع رقمي، إلى وقوع تغيير في طبيعة القارئ الذي انتقل بدوره من قارئ ورقي إلى قارئ رقمي يتفاعل مع نص رقـمي بواسطة شاشة الحاسـوب، هذا المعطى الانتقالي يـمكن توضيحـه كما يلي:

- تفرض على القارئ الورقي عدة قيود، تحد من خياراته القرائية تجاه النصوص الورقية التي تخضع مثلا لسلطة دور النشر والتوجه الديني والسياسي والثقافي السائد في بلد الجهة الناشرة، في حين، نجد القارئ الرقمي متحررا لا يخضع لأية قيود أو سلطة أثناء تفاعله مع النصوص الرقمية المتصلة بشبكة الإنترنت، إذ يختار منها ما يريد وبالطريقة التي يشاء، إما قراءة أو سماعا أو مشاهدة أو يجمع بين كل هذه العناصر، مثلما هو الحال مع رواية الواقعية الرقمية "شات" أو أدب الواقعية الرقمية "صقيع" لمحمد سناجلة، دون أن يجبر على التفاعل مع شيء لا يرغب فيه، حتى وإن كان هو الوحيد المتاح.
- يخضع القارئ الورقي في الغالب لنظام القراءة الخطية الثابتة التي تفرضها النصوص الورقية، عكس القارئ الرقمي الذي يكسر نمط القراءة الخطية، نظرا للإمكانات الهامة التي تتيحها النصوص الرقمية للقارئ الرقمي، حيث يمكن له التجول بحرية في فضاءاتها واختيار المسالك القرائية التي يريدها دون شروط، "إن السمة الجوهرية التي يبنى بها النص المترابط تكمن في (لاخطيته). إنه نص غير خطي لأن القارئ يختار المسارات التي يتعين عليه اتباعها وهو يتعامل مع النص الجديد (النص المترابط) الذي يقرأ، ومعنى ذلك أن هناك (تفاعلا) بين بنيات النص والقارئ الذي يختار وهو يقرر ما يقرأ". أما "هيمنة الخطية تبرز لنا بجلاء من خلال "الارتخاء" الذي يوجد عليه المتلقي وقت استقباله الأحداث لأنه لا يبذل أي مجهود كبير في التعرف على تسلسلها وتطورها. لذلك نجد حضورها في النصوص السردية القديمة وفي الرواية الواقعية".
- يجد القارئ الورقي مجموعة من الصعوبات للحصول مثلا على كتاب صدر حديثا في بلد أجنبي غير بلده الذي يقطن فيه، حيث يتطلب وصوله وقتا طويلا، ويمكن ألا يصل إليه لسبب أو لآخر، وبالتالي يصبح عامل الوقت خارج سيطرته.
- أما القارئ الرقمي، يصبح عامل الوقت ملكا له وتحت سيطرته، لأنه يجد عدة كتب متوفرة ومتاحة عبر شبكة الإنترنت التي يستطيع التجول في فضاءاتها وأخذ ما يريده في وقت سريع وقليل، علاوة على ذلك، هناك مكتبات رقمية تتوفر على كتب تراثية قد تكون طبعاتها نفذت. لكن مع ذلك يمكن للقارئ الرقمي الحصول عليها في تلك المكتبات

بسهولة. في حين القارئ الورقي لا يستطيع الحصول بسهولة على كتاب ورقي قديم نفذت نسخته.

- ظل القارئ الورقي مستهلكا لزمن طويل. لكن بعد ذلك أصبح قادرا على التفاعل مع النصوص الورقية بقدر محدود لا يتجاوز الفهم والتأويل والنقد. أما القارئ الرقمي نجده أكثر تفاعلا مع النصوص الرقمية، نظرا للمساحات المهمة التي يتيحها له المبدع الرقمي في نصوصه، إذ يمكنه المشاركة في إنتاج النص من خلال تقديم اقتراحات أو القيام بتعديلات، في هذا الإطار تقول زهور كرام: "والذي يمنحه شرعية الشراكة في التأليف، هو طبيعة النص التخييلي الرقمي الذي باعتماده الروابط، وانفتاحه على تعددية اختيار البداية، مع احتمال الخروج من النص دون الانتهاء من قراءة كل تمظهراته، هي التي تجعل من فعل القراءة باعتبارها اختيارا لبداية معينة، وتنشيطا للروابط، وإمكانية تجديد قراءات/ زيارات الروابط بشكل مختلف، فعلا منتجا/ مؤلفا للنص"، وإضافة إلى ما سبق، لا يستطيع القارئ الورقي تجاوز المسافات، عكس القارئ الرقمي الذي يمكنه تجاوز المسافات خلال وقت قصير بواسطة اتصاله بشبكة الإنترنت.

3.1. النص الرقمي:

يتجلى الفرق بين النص الورقي والنص الرقمي كالآتي:

- تعد القراءة الخطية أهم سمة تميز النص الورقي، الذي لا يمكن استكناه معناه، إلا عبر الحفاظ على تسلسل وتتابع أفكاره كما حددها المؤلف الورقي، فالقارئ الورقي يسلك مسارا تعاقبيا في تتبع الأحداث من البداية إلى النهاية دون أن يبذل جهدا كبيرا، في حين تعتبر "اللاخطية" سمة أساسية للنص الرقمي، مما يتيح للقارئ الرقمي حرية اختيار نقطة البداية التي يريد الانطلاق منها لقراءة النص الرقمي، لأن بناء هذا الأخير يقوم على أساس تعدد البدايات التي تختلف باختلاف القراءات، وعليه المسارات التي يختارها كل قارئ، وهذا ما يؤدي بدوره إلى اختلاف النهايات التي يصل إليها كل قارئ رقمي.
- ينتهي النص الورقي بمجرد صدوره في هيئة كتاب، فلا يمكن إضافة أو تعديل أو تصحيح أو تنقيح أي شيء فيه، إلا بعد صدوره في طبعة أخرى. أما بالنسبة للنص الرقمي، فإنه قابل باستمرار للتعديل والإضافة من طرف القارئ الرقمي، لأن النص الرقمي معد سلفا

لذلك من طرف المبدع الرقمي، مثلا نص "صقيع" الذي يفسح المجال للقارئ الرقمي للمشاركة والتفاعل معه.

- يتميز النص الورقي بوصفه أحادي العلامة، حيث إن إنتاجه لا يتطلب سوى المعرفة بقواعد الكتابة وتقنياتها. عكس النص الرقمي الذي يتسم بتعدد العلامات، فهو يمزج بين الكتابة والصوت والحركة والصورة والمشهد السينمائي والرسم.. وتتطلب عملية إنتاجه، إضافة إلى المعرفة بقواعد الكتابة وتقنياتها، معرفة بالمعلوميات وما يصاحبها من عتاد وبرمجيات، علاوة على ذلك نجد النص الرقمي معد سلفا للتلقي على جهاز الحاسوب عبر اتصاله بشبكة الإنترنت.
- أما النص الورقي فهو يعد للتلقي بواسطة الكتاب، حتى وإن تمت معاينته على شاشة الحاسوب، فإنه لا يعدو أن يكون سوى نص إلكتروني مرقم، تنتقل مادته من الورق المكتوب إلى مادة معاينة على شاشة الحاسوب فقط، دون حدوث تغيير يذكر ما عدا تغير الوسيط الحامل للمادة المكتوبة وهذا ما يؤكده سعيد يقطين بقوله:
- إن عملية الترقيم عملية تحويل النص المقروء (المطبوع) أو المسموع (الشفوي) ليصبح قابلا للمعاينة أو السماع من خلال شاشة الحاسوب. ومن ثمة في الفضاء الشبكي. فعندما أقدم على كتابة نص أو تسجيل صوت شاعر أو قطعة موسيقية، وأقوم بتحويل كل ذلك إلى الحاسوب بواسطة برامج خاصة أعدت لذلك، أكون عمليا أضطلع بعملية ترقيم لأجعل النص قابلا للتداول في الفضاء الشبكي أو من خلال أقراص محددة. أما عندما أنتج نصا ليتلقى على الشاشة موظفا كل الإمكانات التي تجعله مستجيبا للمعاينة، تكون أمام كتابة رقمية، لأنني منذ البداية، فكرت في إنتاج نص رقمي، ووفرت له كل الشروط الملائمة لذلك"
- يتألف النص الورقي من بنيات وعلاقات تربط بين تلك البنيات، فتصبح بذلك قراءته قراءة خطية أفقية، في حين يتشكل النص الرقمي من عقد وروابط تربط بين تلك العقد، فتصير قراءته قراءة لا خطية تعتمد على اختيارات القارئ الرقمي للمسالك أو المسارات التي يريدها والتي تربط بين عقد النص وأجزائه وبنياته.
- يخضع النص الورقي إلى سلطة ورقابة دور النشر، فلا تجد جميع النصوص الورقية طريقها للنشر، لأن الأمر يرتبط بمدى شهرة مبدعيها أو عدم شهرتهم، في حين يجد النص الرقمي مجالا كبيرا للنشر، على اعتبار أن النص الرقمي في اتصاله بالفضاء الشبكي يفتح

أبوابه لجميع المبدعين مهما تفاوتت درجة شهرتهم، وهذا ما يوضحه محمد أسليم بقوله:النص الالكتروني يتميز برحابة الفضاء المحيط به مقارنة بالنص الورقي، الذي قد يواجه الإقصاء، ظلما في أحيان كثيرة، بسبب وجود الرقيب، أو بيروقراطية جهاز النشر، أو سوء تقدير دار النشر...إلخ، أما إلكترونيا، فتجد جميع الأعمال فضاء رحبا للتداول، وبالتالي، قد ينجح كاتب ما في إعلان نفسه كاتبا انطلاقا من الشبكة، فتجد أعماله طريقها للنشر الورقي بعد ذلك"